

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(118) في ركوبه السفينة: (يَا بُدَيِّ ۖ اركَبْ مَعَ نَا وِلَا تَكُن مَعَ
الْكَا فِرِينَ) (1)، أي لا تكن معهم حتى تشاركهم في البلاء، ولو كان عارفاً بكفره لكان
عليه أن يقول: "ولا تكن من الكافرين" وبما أنّه كان معتقداً بإيمان ولده كان مدعناً
بدخوله في قوله: (وأهلك) ولما أدركه الغرق أدركته الحيرة في أنّه كيف غرق مع أنّ وعده
سبحانه حق لا يشوبه ريب، وعندئذ أظهر ما في قلبه وقال: (انّ ابني من أهلي)، وأجابه
سبحانه بأنّه ما أدركه الغرق إلاّ لاجل كفره، فهو كان داخلاً في قوله: (ولا تخاطبني في
الذين ظلموا إنّهم مغرقون) (2) أوّلاً، وثانياً في المستثنى أي قوله: (إلاّ من سبق عليه
القول) لا المستثنى منه أي (أهلك). وعندئذ يقع السؤال والجواب في موقعهما ولا يكون نوح
(عليه السلام) في حكمه كاذباً، لأنّه كان يتصور أنّ ولده موّمن فنبّهه سبحانه على أنّه
كافر، فأين الكذب في هذين الحكمين؟ وفي قوله سبحانه: (انّه عمل غير صالح) إعلام بأنّ
قراءة الدين غامرة لقراءة النسب، وانّ نسيك في دينك ومعتقدك من الالباعد وان كان
حبشياً وكنّت قرشياً، لصيقك وخصيكتك، ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحماً فهو
بعيد عنك إيماناً وعقيدة وروحاً. ثم إنّ الاخبار عن ابن نوح بأنّه عمل غير صالح مكان
كونه عاملاً غير صالح، لاجل المبالغة في ذمه مثل قوله "فإنما هي إقبال وإدبار". (3)
وهاهنا نكتة يجب التنبيه عليها، وهي أنّ العنصر المقوّم لصدق عنوان الالباهل عند أصحاب
اللغة والعرف هو انتساب الإنسان إلى شخص بوشيجة من _____ 1 . هود: 42، 2 . هود:
37، 3 . الكشاف: 101|2.